ازهار وأشواك

اللغة والأسرة والحكومة

في مصرَ اليومَ مسائل ثلاث تشغلُ الرأيَ العام : اللغةُ ، والأُسرةُ ، والحكومة . لايحسُنُ بي أن أدَعها تمرُّ دون أن أقول فيها كلمتي . سأضطرُّ الى الايجاز ، ولن أُحاول استيعابَ الموضوع ، لأن كلَّ مسألة من هذه المسائل تُعَدُّ من العُقَدِ الاجتماعية التي لا يسهلُ حلُّها :

باتَتْ لغتنا في حاجةٍ قصوى الى الاصلاح ، ولم يبقَ بالامكان الجمود بها على ما كانت عليهِ حيال النهضة الحديثة التي بدَت طوالعُها . ولقد تنبَّهت الخواطرُ الى هذا الأمرِ على أثر المنشورات التي أصدرتها نظارةُ المعارف ، فتراجع صداها في صحفنا اليومية ، وتناولتها أقلام الكتّاب بين منتقدٍ ومقرّظٍ . دار البحث أوّلاً على مسألة الكتب المدرسية ووجوب ضبطها بالشكل لكي يعتادَ التلاميذ منذ حداثة سنّهم ، تقويمَ لسانهم وفصاحة نطقهم . ولا يخفى ما للشكل في اللغة العربية من الأهمية ليستقيم المعنى ويتمّ المقصود ؛ وكم من مرّةً نقرأُ الجملةَ على صورةٍ معيّنةٍ حتى إذا ما وصلنا الى آخرها وأحطنا بها ، نجدُ أننا أسأنا تلاوتها على نحو ما تلوناها أوّلاً . فتردّد حينئذٍ ما كان يقول المرحوم قاسم أمين « كلُّ لغةٍ تُقرَأُ لتُفهَم ، إلاّ اللغة العربيـة ، فإنها تُفهَم لتُقرأُ » أُورِدُ مثلاً على ذلك جملةً قرأتُها في إحدى المقالات التي كُتِبَتْ في هذا الموضوع ، وهي « حسن

صرف المال في وجوه الخير » فيمكنك أن تقرأها على وجوه مختلفةٍ لتجرُّدها من الحركات فتقول :

١ً — حَسَنٌ صَرْفُ المالِ في سبيلِ الخير، أي محمود

٢ً — حَسُنَ صَرْفُ المالِ في سبيلِ الخير، أى جَمُلَ

٣ً — حُسْنُ صَرْفِ المالِ في سبيل الخير، أي جمالُ

٤ً — حَسِّنْ صَرْفَ المالِ في سبيل الخير، بمعنى الأمر

٥ً — حَسَنٌ صَرَفَ المالَ في سبيل الخير، أي « سي حسن » هو الذي صرف المال

٦ً — حَسَنُ ! صَرَّفِ المالَ في سبيل الخير، اذا ناديتَ حسناً وأمرتهُ

٧ً — حَسَنُ ! صُرِفَ المالُ في سبيل الخير، اذا ناديت حسناً وأخبرتهُ عن صرْف المال

وفي هذا كفاية على أهمية الشكل فى اللغة

***

اما المسألةُ الثانيةُ فهي مسألة الأُسرة ، دار عليها البحث بمناسبةِ الحربِ القلمية التي أثارها إنشاء جمعيةٍ في مصر لتحرير المرأة ، وخوض الكتَّاب في مسألة الحجاب والسفور . قال فريقٌ « لا سبيل الى اصلاح الأمّة الاَّ باصلاح الأسرةِ ، ولا تصلحُ الأسرة الاَّ بصلاح المرأةِ ، ولا تصلح المرأة الاَّ اذا رفعت الحجاب واشتركت مع الرجل في الحياة ورافقتهُ في نزهاتهِ ورياضاتهِ بدلاً من أن يرتادَ الأندية العمومية فيجالس اساتذة السهر وفلاسفة اللهو والملذّات »

وقام فريقٌ ثانٍ ينادي بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، ويستنزل اللعنات على دُعاة السفور ، صارخاً بهم «يا لثارات الدين والقومية ! مكانكم ايها السفهاء ! فواللهِ ما دعا دعاةٌ الى شرٍّ مما دعوتم ، ولا تحركت الألسن باسوإٍ مما تحرَّكت بهِ ألسنتكم ، ولا جرت الأقلام بأضرّ مما جرت بهِ أقلامكم ، فليت ألسنتكم عُقِدَت ، واقلامكم قُصِفَت »

هذا بعض ما اتحفتنا بهِ الجرائد في هذا الموضوع . والغريب العجيب ان سيداتِنا — وهنّ موقداتُ نار هذه الحرب — لم يُبدينَ رأياً ، ولا رفعنَ صوتاً ، ساعة نرى اخواتهنّ الغربيات في هـذهِ الآونة يُزاحمنَ الرجال ، ويطالبنهم بما يريد الرجال ان يُريحوهنّ من متاعب هذه الحياة

أمَّا المسألةُ الثالثةُ التي شغلت صحافتنا وكانت موضوع أحاديثنا ، فهي مباشرة الانتخابات للجمعية التشريعية التي حلّت محلّ مجلس شورى القوانين . لستُ أُريدُ الخوضَ في ما إذا كان هذا التغيير يُعَدُّ تدرُّجاً نحو السلطة النيابية ، فليس ذلك من شأني . وقد عرف القراء من جهةٍ ثانية نتيجة الانتخابات الأوليـة ، وقرأوا البروجرامات السياسية التي عرضها المرشّحون على الرأي العام ، وسنعرف عن قريبٍ أسماء الذين يقرُّ قرارُ الامة على انتخابهم لتمثيلها . إنما الأمرُ الذي أسفنا لهُ ، هو إغضاء الكثيرين عن الانتفاع بحقّهم في الانتخاب . قرأَ الغيرُ ، كما قرأتُ ، خبرَ ملكِ ايطاليا وكيف أنهُ اشترك في الانتخاب الذي جرى لمجلس النواب في بلادهِ منذ شهرٍ ، فانهُ ذهب بنفسهِ الى دائرة الانتخاب التابع لهـا ورمى ورقتهُ في الصندوق كأحد أفراد رعيّتهِ . في هذا مثالٌ جميل ، وقدوةٌ حسنة

مَنْ كَتَبَ سَوفَ يَكتبُ

يقولُ الأفرنج في أمثالهم « من شَرِبَ سوفَ يشرب » إشارة الى أن مُدْمِنَ الخمرة لن يُقلعَ عنها . ويصحُّ إن نقولَ « من كتبَ سوف يكتب » بمعنى أنَّ « مُدمِنَ » الكتابةِ لن يكسرَ قلَمهُ . والصحافة هي « إدمانُ الكتابة » فمن زاولها مدَّةً ، وذاقَ حلوها ومُرَّها لن يعرف أن يعيش بعيداً عنها . والأمثلة على ذلك كثيرة . علِمَ القرَّاء أن اسكندر افندي شاهين الصحافي المعروف قد ودَّع الصحافةَ يوم غادر الديارَ المصرية قاصداً البلاد البرازيلية لتعاطي التجارة فيها ، بعد أن خدم القلَمَ بأمانةٍ وإخلاص مدَّةَ ربع قرنٍ . وقد أقام لهُ يومئذٍ زملاؤُهُ حفلة لتوديعهِ ، وتمنى عليهِ الكثيرون ألاَّ يهجر الكتابة هجراً تاماً ، لأنَّ لهُ في ميادينها جولاتٍ صادقة ، وكنت بين المشتركين في الحفلة ، فتبسَّمتُ لدى سماعي التعبير عن هذه الأمنية ، لأنَّهُ كان قد بلغني أن الصديق اسكندر قد وَضَعَ في حقيبةِ سفرهِ « كليشه » حفرها في مصر باسم جريدةٍ قد يُصدرها في البرازيل . ولم تلبث الأيام أن جعلت الظنَّ حقيقةً ، فقد حمل الينا البريد منذ أسبوعين رزمةً من أميريكا الجنوبية ، ففضضتها ، واذا فيها جريدةٌ يومية بثماني صفحات عنوانها « أميركا » وأبحاثها متنوّعة لذيذة ، وعبارتها منسجمة طليّة ، وهي لصاحبها ومحرّرها اسكندر شاهين . فأيقنتُ أنَّ « من كتبَ سوف يكتب » وتمنّيتُ « لأميركا » نجاحاً وخيرًا كثيرًا

ماصر